إلامَ العمه والشذوذ؟

ينظرون الى الأشياء، لا بعين العقل والمنطق، بل بعين المصالح الذاتية الآنية، مما يقيم الدليل على إن جراثيم أدوائنا ما دامت متفشية عندهم أكثر مما عند سواهم، تجتاح الامكنة في هجماتها الكاسحة المروّعة، على معاقل عزتنا النفسية وتقاليدنا الوطنية والاجتماعية المحبّبة. الحقيقة مرّة واضحة عارية صاخبة، يسترها ثوب التضليل ولا يردّ عنها العيون البهرج اللمّاع ولا الزخارف الكاذبة.

آمال «عامتهم» في أرجوحة الحظ والابراج والوعود والوعيد، صحتهم في قبضة العياء وما زالوا يتهافتون لا يحسّون في سبيل مآربهم بوهن أو نصب، ولا يقدرون مبلغ ما يضيعونه من وقت وفرص نجاح حقيقية، ولو عقلوا، لعلموا انهم لو انفقوا في الدرس أو العمل المجدي، ربع ما ينفقونه في الكذب والمراوغة، لكانوا ربما من الفائزين في كل ما يمارسون من شؤون وأمام حكم الضمير والتاريخ على السواء.

يهملون واجبهم نحو مواطنيهم يسيئون الى قدسية المواطنة والى عزّة الوطن اساءات لا تغتفر.

على مقربة منهم، أسرة تتضوّر جوعاً، وتئن ألماً ويأساً، وتتمنى أن تفوز ببعض المال، تشتري به قوت يومها أو عشاء ليلها. وترى هكذا جماعات تعمل ليل نهار. وبدلاً من أن تلجأ في ليلها الى الراحة أو تنفّس عن اعصابها المتعبة بالسمر المنعش، أو بسماع الأنغام المحببة، تراها تُرهق أذهانها بأفلام الرعب وأخباره الحقيقية أو بالبرامج المبتذلة أو المستوردة، تدخل الى منازلهم بلا استئذان.

كل مَن وقف على أخلاق شرفائنا العقلاء، ودرس صفاتهم وطباعهم، علم حق العلم، انهم مفطورون على حب الأدب والطرب، آباؤهم وأجدادهم كانوا بعيدين كل البعد، عن الميل الى الترهات وسفاسف الامور، وقد كانت مجالسهم حافلة بأزهى ألوان المرح والسرور، وكان في كل أسرة أفراد يجيدون مداعبة الأوتار وارسال الشدو والإنشاد، بعيداً عن المجون الزري والخلاعة المعيبة.

إنّا لنحسن الصنع، ونفرح القلب ونرضي الضمير، في ظل العهد الجديد، اذا استأصلنا فعلاً عللنا الخبيثة الخطرة، واذا عدنا الى عزّتنا الوطنية وعذوبتنا الروحية وهنائنا الفكري البسّام!

د. جهاد نعمان